

أبو عمرو الداني

إطالة على سيرة إمام القراءات بالأندلس

فخري الوصيف

حظي أبو عمرو الداني ، في عصره وفيما تلاه من عصور ، باهتمام كبير من أهل الاختصاص في علم القراءات ومن المؤرخين على السواء ، وما يزال يلقى اهتمام الباحثن والدارسين المعاصرين ، وآية ذلك عشرات الكتب والبحوث التي تعرض لمكانة أبي عمرو الداني الباسقة في علم القراءات ، ناهيك عن الدراسات الموطئة للعديد من كتبه المنشورة . ولعل الاهتمام البالغ بالإمام الشهير وكثرة الدراسات عنه ما يجعل من مقالنا هذا تحصيل حاصل ، ومن الحق أن نقر بأنه كذلك في جانبه الأعظم ، ولكن في جانبه الأقل يسعى إلى سد فجوات في سيرة الرجل وتسليط الضوء على نقاط غامضة تتخللها .

في الهوية

هو أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي المنذري القرطبي الداني المالكي المقرئ المعروف بابن الصيرفي . ولد في قرطبة بأحد أحيائها المعروف بربض قوته راشه ، وبالتحديد طبقا للتجيبى بحومة مسجد ابن أبي لبدة من الربض المذكور . ويحدد غالبية المؤرخين تاريخ مولده في عام ٣٧١ (=٩٨١-٩٨٢) ، ولكن حسبما جاء في معجم الأدباء لياقوت أنه ولد في عام ٣٧٢ (=٩٨٢-٩٨٣) ، وقد يلوح أنه التاريخ الأرجح لأنه ورد على لسان أبي عمرو نفسه ، فحينما سأله تلميذه الأشهر أبو داود سليمان بن نجاح عن عام مولده قال : سألت أبي عن مولدي فقال إنه كان في عام ٣٧٢هـ . ومع ذلك ، فالتاريخ الأول ، طبقا للذين أوردوه ، مصدره أيضا أبو عمرو الداني ، مما يجعله يتمتع كذلك بقدر من المصداقية . وأيا كان الاختلاف ، وهو طفيف ، بشأن تحديد عام مولد الرجل ، فإنه ولد وقضى سني طفولته وشبابه خلال أوج الخلافة الأندلسية ، وبالتحديد خلال عهد الدولة العامرية (٣٧١-٣٩٩=٩٨١-١٠٠٩) ، بيد أن قُدِّر له أن يشهد كسوف خلافة قرطبة وسقوطها وأن يعيش أكثر من نصف عمره في عصر دول الطوائف .

وعُرف أبو عمرو الداني في أول الأمر بـ "ابن الصيرفي" ، ربما لأن أباه كان صيرفيا على ما يذكر التجيبى . ولكن الأب (سعيدا) كان يلقب أيضا بـ "ابن الصيرفي" حسبما يشير ابن الأبار^٢ ، مما يعني أن الجد (عثمان) كان أيضا صيرفيا ، وأن اللقب الذي حمه الأب قد انتقل إلى الابن أبي عمرو عثمان ، وهذا ليس بمستغرب في

الألقاب العربية ، بمعنى أن يحمل الابن لقب الأب أو حتى لقب الجد . وعلى أي الأحوال ، ففيها بعد عُرف أبو عمرو عثمان بـ "الداني" نسبة إلى مدينة دانية الساحلية بشرق الأندلس حيث استقر بها حوالي ٢٧ سنة حتى وفاته .

وكما نرى كان يحمل النسبة "الأموي" ، لأنه كان ينتسب إلى الموالي الأمويين ، وعلى الأرجح إلى موالي الأمير المنذر ، سادس الأمراء الأمويين (حكّم من ٣ ربيع الأول ٢٧٣ إلى ١٥ صفر ٢٧٥=٩ أغسطس/ آب ٨٨٦-٢٩ يونيو/ حزيران ٨٨٨) ، إذ في الغالب أن النسبة إلى الأمير المذكور "المنذري" هي الواردة خطأ في اسم أبي عمرو الداني ، تارة : "المري" حسب الصفدي ، وتارة أخرى "المنييري" طبقاً لبروكلمان . والنسبة الأولى كما هو معلوم تعود إلى قبيلة مُرّة العربية ، ولكن لا توجد أية إشارة على صلة النسبة المذكورة بأبي عمر عثمان وعائلته ، والثانية نسبة مجهولة تماماً وغير مسجلة في الأنساب الأندلسية . ويبدو لنا أن ثمة تصحيف في قراءة كلتا النسبتين ، وأن صوابهما "المنذري" كما أثبتنا ، ويعزز من قولنا أنه وجدت نِسَب ولاء إلى الحكام الأندلسيين مثل "الناصري" و"المؤيدي" و"العامري" ، وهي بحسب ترتيبها نسبة إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر وحفيده هشام المؤيد والمنصور بن أبي عامر وابنيه عبد الملك وعبد الرحمن . كذلك نلاحظ تقابل زمني بين الجددين الأعلين لأبي عمرو عثمان (سعيد وعمر) مع عهد الأمير المنذر ، مما يجعلنا نظن أن سعيداً ربما كان أول من دخل في خدمة الأمير المذكور وحاز على علاقة الولاء ، أو لعلّها كانت في بادئ الأمر للجد الأعلى (عمر) ثم انتقلت منه إلى بنيه . والقول بثبوت ولائه الأموي في حين تعدم الإشارة إلى انتهائه إلى أي من العنصرين الوافدين ، العربي أو البربري ، يجعلنا نميل إلى أنه كان ينحدر من السكان الأصليين الذين اعتنقوا الإسلام وكونوا ما عرف بالمولدين ، وهؤلاء بدورهم كانوا يشكلون السواد الأعظم من سكان الأندلس .

ولم تكن علاقة الولاء للأمويين من جهة أبيه فحسب ، إذ كانت أمه كذلك تنتسب إلى نفس الولاء كما يستدل على ذلك من نسب خاله أبي عبد الله محمد بن يوسف الأموي النجاد . ومع ذلك ينبغي الإشارة إلى أن خال أمه كان يحمل النسبة "البعلي" ، أي أن جدته لأمه كانت تنتسب إلى قبيلة بجيلة العربية . على أي الأحوال كان أبو عمرو عثمان الداني ينتسب من جانبي الأب والأم إلى الموالي ، ومن المعروف أن موالي الأندلس ، والأمويين منهم على وجه الخصوص ، كانوا يتمتعون بوضع اجتماعية اقتصادية متميزة . وبالإضافة إلى ذلك ، كان الجد والأب يعملان بالصيرفة في حاضرة الخلافة ، وفي أوان أوج ازدهارها الاقتصادي . ومن كل هذا

يمكننا أن نستخلص أن الأسرة كانت تتمتع بوضع اقتصادية جيدة وفرت لابنها أبي عمرو عثمان الإمكانيات المادية الملائمة ليتفرغ للدراسة في قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية الأخرى وكذلك في خارج الأندلس .

طلب العلم في الأندلس

يوجد خلاف يسير فيما يتصل بالتاريخ الذي بدأ فيه أبو عمرو "طلب العلم" ، فيقول البعض ممن ترجم له مثل ابن بشكوال ، وهو ينقل عن أبي عمرو نفسه ، والقفطي ، إنه بدأ ذلك بعد عام ٣٨٥ (=٩٩٥- ٩٩٦) وكان عنده ١٤ عاما هجريا . والبعض الآخر ، كياقوت والذهبي وابن الجزري ، يحدّد تاريخ الطلب في عام ٣٨٦ (=٩٩٦-٩٩٧) . وينفرد المقرئ بذكر عام ٣٨٧ (=٩٩٧-٩٩٨) ، ولا يشير إلى أن مرجعه في ذلك هو أبو عمرو نفسه .

وبصرف النظر عن الخلاف المذكور فإن كلمات أبي عمرو الداني تحدد مراحل تكوينه العلمي ، إذ يقول "وابتدأت أنا بطلب العلم بعد سنة خمس وثمانين [وثلاثمائة] وأنا ابن أربع عشرة سنة" . وهذا يعني أن ما قبل العام المشار إليه كان الصبي في مرحلة التكوين الأولية ، التي كانت في قرطبة ، وكما هو مألوف كانت بتوجيه من أسرته وتحت إشرافها . ثم تأتي المرحلة الثانية التي كانت على الأرجح برغبته الخاصة كما يحددها استخدام ضمير المتكلم "ابتدأت أنا" ، وهي تتسم باختياره الحر لمواد الدراسة التي يريدتها ويميل إليها ، كما تتصف بالانتقال إلى أماكن أندلسية أخرى لتلقي العلم ولقاء الشيوخ . فبالإضافة إلى قرطبة انتقل إلى إستجة وبجاجة وسرقسطة ومدن أخرى من الثغر الأعلى على ما ذكر ابن بشكوال . ولقد استمرت تلك المرحلة قرابة اثنتي عشرة سنة ، وانتهت بشروعه في الرحلة إلى المشرق (الأحد ٢ من المحرم ٣٩٧=٢٨ سبتمبر/أيلول ١٠٠٦) وله من العمر ٢٦ عاما ليبدأ المرحلة الثالثة التي يمكن أن نطلق عليها مرحلة التخصص العالي .

والتحديد الزمني للمرحلتين الأولى والثانية من التكوين العلمي على النحو المشار إليه لا يقابله تعيين لشيوخ كل مرحلة من المرحلتين ، فلا تشير المصادر إلى ذلك ، أو بالأحرى لم تفصل بين شيوخ كل مرحلة على حدة . وهذا أمر طبيعي لأن أحيانا ما كان بعض شيوخ المرحلة الأولية ، من المتصلعين في علم من العلوم أو في أكثر من علم ، يستمرون في التعليم في المرحلة الثانية ، أي على يد نفس الشيخ كان يدرس ذات التلميذ صبيا ومراهقا وشابا ، أو لأن الشيخ كانت تجمعها بالتلميذ صلة قرابة ، فتستمر علاقة التعليم مدة طويلة . وفي الحالة الأخيرة ، فيما يتصل بصاحبنا أبي عمرو ، نجد اثنين من شيوخه كانا وثيقي القربى به ، أحدهما والده أبو عثمان

سعيد بن عثمان الأموي (ت. في جمادى الأولى ٣٩٣ = مارس / آذار - أبريل / نيسان ١٠٠٣) ، وثانيها خاله أبو عبد الله محمد بن يوسف الأموي النجّاد (ت. في غرة ذي القعدة ٤٢٩ = ١٦ أغسطس / آب ١٠٣٧) .
حقيقة لم يكن الأب متميزا في أي من العلوم العربية الإسلامية ، كما يتضح من ترجمته ، ولكن أخذ عنه ابنه ، ويضيف ابن بشكوال أنه نقل عنه بعض الحكايات عن شيوخه . ولا نظن أن الأمر توقف عند ذلك ، فمن البديهي أن يساهم الأب في الخطوات الأولى من تعليم ابنه مثل مساعدته إياه في القراءة والكتابة ، وفي تلقينه قدر من القرآن ، وفي تعليمه الحساب خاصة أنه كان صيرفيا عالما بتلك المادة العلمية . أما الخال ، فيبدو أنه اضطلع بدور أكبر في التكوين العلمي لابن أخته . فقد كان مقرئا محترفا ، قام بتعليم القراءات طوال حياته ، أولا في أحد مساجد قرطبة ، وبعد ذلك في الثغر الأعلى حيث ذهب واستقر بعد اندلاع الفتنة ، وربما مرة أخرى في قرطبة بعد عودته إليها . ورغم أن المصادر تشير إلى أن أبا عمرو عثمان قد أخذ عنه بالفعل القراءات ، فإنه من غير المستبعد أنه قد تعلم منه أيضا "علم العربية" و"علم الفرض" ، فقد كان الخال عالما فيهما ، ومن الطبيعي ألا يرضن بهما على ابن أخته .

وإلى المذكورين يمكن أن نضيف ، من معلمي المرحلة الأولية ، أولئك الذين كانوا يحملون لقب "المكّتب" كأبي مروان عبيد الله بن سلمة اليحصبي (ت. ٤٠٥ = ١٠١٤-١٠١٥) ، وكان من شيوخ أبي عمرو الأساسيين ، فيقول بشأنه " وهو الذي علمني عامة القرآن" ، وأبي بكر أحمد بن أبي عبد الملك ، وأبي محمد عبد الله بن عمرو ، ابن مؤهب (غير معلوم سنتي وفاتها) .

وكانوا كثيرا شيوخ أبي عمرو الداني الأندلسيون في المرحلة الثانية ، ونكتفي منهم بذكر أبرزهم . ففي علوم اللسان والأدب والشعر نشير إلى اللغوي أبي عثمان سعيد بن عثمان ، ابن القزاز (ت. ١٥ ربيع الأول من عام ٤٠٠ = ٦ نوفمبر / تشرين الثاني ١٠٠٩) ، وكان أحد كبار تلامذة العالم اللغوي الشهير نزيل قرطبة أبي على القالي (ت. ٣٥٦ = ٩٦٧) ؛ والشاعر الأديب أبي عبد الله حبيب بن أحمد ، الشطّجيري (ت. بعد عام ٤٠٤ = ١٠١٣-١٠١٤) ؛ وأبي أحمد عبد الله بن أحمد الكتّبي (غير معلوم تاريخ وفاته) . وفي الحديث نشير إلى أخذه عن أبي عبد الله محمد بن خليفة البلوي الإمام (ت. ٢٦ محرم من عام ٣٩٢ = ١٥ ديسمبر / كانون الأول ١٠٠١) ؛ وأبي القاسم خلف بن قاسم ، ابن الدباغ (ت. ٣٩٣ = ١٠٠٢-١٠٠٣) ؛ وجاره بربض قوته راشدة الزاهد أبي المطرف عبد الرحمن بن عثمان القشيري (ت. ٣٩٥ أو ٣٩٦ = ١٠٠٤-١٠٠٥ أو ١٠٠٥-١٠٠٦) ؛ وأبي العاص حكّم بن محمد الأموي الأطروش (ت. نحو عام ٤٠٠ = ١٠٠٩-١٠١٠) ؛ وأبي القاسم عبد

الرحمن ابن الخراز الهمداني الوهراني (ت. ربيع الأول من عام ٤١١=يونيو/حزيران-يوليو/تموز ١٠٢٠). ومن شيوخه في الفقه نذكر الفقيه الشهير أبا عبد الله محمد ابن أبي زَمَين المري (ت. ربيع الثاني من عام ٣٩٨ أو ٣٩٩=ديسمبر/كانون الأول ١٠٠٧-يناير/كانون الثاني ١٠٠٨ أو سبتمبر/أيلول ١٠٠٨-أغسطس/آب ١٠٠٩)؛ وأبا بكر عبد الرحمن بن أحمد التجيبي، ابن حَوْبِيل (ت. ١٣ صفر من عام ٤٠٩=١ يوليو/تموز ١٠١٨)؛ وأبا الوليد يونس بن عبد الله، ابن الصَّقَّار (ت. ٢٨ رجب من عام ٤٢٩=٦ مايو/أيار ١٠٣٨). ودرس القرآن الكريم وعلومه على يد نفر من العلماء، منهم: نزيل الأندلس أبو القاسم عبد العزيز بن جعفر الفارسي، ابن أبي غسان (ت. ربيع الأول من عام ٤١٢ أو ٤١٣=يونيو-يوليو ١٠٢٢ أو يونيو-يوليو ١٠٢٣)؛ وأبو بكر حاتم بن عبد الله البزاز؛ وأبو محمد عبد الله بن محمد العبدري (غير معلوم سنتي وفاتها).

الرحلة

بدأت المرحلة الثالثة من التكوين العلمي لأبي عمرو الداني بالشروع في رحلته إلى المشرق. وتوخي من رحلته تحقيق ما كان يبغيه علماء الأندلس من رحلتهم إلى المشرق بوجه عام، أي أداء فريضة الحج وتنمية المعارف العلمية في العلوم الإسلامية العربية، وما يتصل بذلك من لقاء الشيوخ الكبار والأخذ المباشر عنهم. ويبدو أن أبا عمرو كان معنياً بذلك أشد العناية، وآية ذلك أن شيوخه في الرحلة يحتلون المقام الأول في "أرجوزته"^١، ففي الجزء المخصص منها لذكر مجمل شيوخه، الذي يضم عشرين بيتاً^٢، يُسمَّى في خمسة عشر بيتاً ١٧ شيخاً، غالبيتهم العظمى، إن لم يكن جلهم، من شيوخ الرحلة^٣، ويكتفي بإشارة عامة مختصرة في أقل من نصف بيت لشيوخه الأندلسيين.

ويسرد أبو عمرو الداني نفسه الجزء الأكبر من مسار الرحلة. فيشير إلى أنه بدأ الرحلة يوم الأحد ٢ من المحرم من عام ٣٩٧ (= ٢٨ سبتمبر/أيلول ١٠٠٦) متوجهاً إلى القيروان حيث مكث بها أربعة أشهر درس فيها على يد نفر من علمائها مثل أبي الحسن علي بن محمد القاسبي (ت. ٣ ربيع الثاني من عام ٤٠٣=٢٢ أكتوبر/تشرين الأول ١٠١٢). ومن القيروان انطلق إلى مصر فوصلها في شوال ٣٩٧ (= يونيو/حزيران-يوليو/تموز ١٠٠٧)، وشرع في تعميق دراساته خاصة في القراءات، فضلاً عن الفقه وعلوم أخرى. وخلال مدة إقامته في مصر، التي بلغت نحو العام، درس على يد عدد من الشيوخ المصريين ومن غيرهم الوافدين من الشام والعراق. نذكر من شيوخه المقرئين أبا الحسن طاهر ابن غَلْبُون الحلبي (ت. ١٠ شوال ٣٩٩=٧ يونيو/حزيران ١٠٠٩)؛ وأبا مسلم محمد بن أحمد البغدادي (ت. في ذي القعدة من ٣٩٩=٢٧

يونيو/حزيران-٢٦ يوليو/تموز ١٠٠٩) ؛ وأبا عبد الله أحمد بن محمد ابن محفوظ المصري الجيزي (ت. ٣٩٩=٥ سبتمبر/أيلول ١٠٠٨-٢٤ أغسطس/آب ١٠٠٩) وأبا علي الحسن بن سليمان الأنطاكي (ت. ٣٩٩=١٠٠٨-١٠٠٩) ؛ وأبا الفتح فارس بن أحمد الحمصي (ت. ٤٠١=١٥ أغسطس/آب ١٠١٠-٣ أغسطس/آب ١٠١١) ، وهو يعتبر شيخه الأكبر في القراءات ويخصص له أبو عمرو بيتين في "أرجوزته" ؛ وأبا القاسم خلف بن إبراهيم الخاقاني (ت. ٤٠٢=٤ أغسطس/آب ١٠١١- يوليو/تموز ١٠١٢) ؛ وأبا القاسم عبد الوهاب بن أحمد ابن منير الخشاب (ت. ٤٠٧=١٠ يونيو/حزيران ١٠١٦-٢٩ مايو/أيار ١٠١٧) ؛ والمحدث أبا محمد عبد الرحمن بن عمر ، ابن النحاس (ت. ١٠ صفر من ٤١٦=١٢ أبريل/نيسان ١٠٢٥) . وفي ذي القعدة من عام ٣٩٨ (= يوليو/تموز - أغسطس/آب ١٠٠٨) التحق بجماعة من الحجاج متوجها إلى الحجاز . وفي مكة واصل دراساته مع بعض كبار المحدثين مثل أبي الحسن أحمد بن إبراهيم ابن فراس العبَّسي (ت. ٤٠٥=٢ يوليو/تموز ١٠١٤-٢٠ يونيو ١٠١٥) ؛ وأبي ذر عبد بن أحمد الهروي ، ابن السماك (ت. ٤٣٤=٢١ أغسطس/آب ١٠٤٢-٩ أغسطس/آب ١٠٤٣) . ومن مكة عاد إلى مصر حيث أمضى شهرا أو نحو الشهر ، ثم إلى القيروان حيث قضى بها أيضا مدة مماثلة .

بين ترحال واستقرار

عاد أبو عمرو الداني إلى وطنه في ذي القعدة من ٣٩٩ (=٢٧ يونيو/حزيران-٢٦ يوليو/تموز ١٠٠٩) في الوقت الذي كانت فيه الحاضرة الأندلسية مشتعلة بنيران الفتنة ، وبالتحديد إبان ثورة البربر تحت راية سليمان المستعين على الخليفة محمد المهدي . وقُدِّر للعالم الشاب العائد أن يشهد تلك الأحداث المضطربة من الفتنة في قرطبة حيث استقر ، ولكن لم يلبث أن عقد النية على الخروج منها كغيره من القرطبيين . فثمة خبر يورده ابن بشكوال مفاده أن أبا عمرو كان موجودا في سرقسطة في عام ٤٠٢ (= ٤ أغسطس/آب ١٠١١-٢٢ يوليو/تموز ١٠١٢) ، مما قد يرجح أنه حيثئذ ربما كان يبحث عن مكان يؤوي إليه ويبعده عن "الفتنة" التي كان يعتقد اعتقادا راسخا بوجوب تجنبها وعدم الخوض فيها .

ورجع مرة أخرى إلى قرطبة ، ولكن لم يكد يمضي بها عدة أشهر حتى غادرها في عام ٤٠٣ (=١٠١٢-١٠١٣) ، مدفوعا بالمذابح وأعمال السلب والنهب التي عانى منها أهل قرطبة على أيدي البربر أنصار سليمان المستعين في ٢٦ شوال من عام ٤٠٣ (=٩ مايو/أيار ١٠١٣) . وتوجه العالم الشاب إلى الثغر الأعلى حيث استقر في قاعدته سرقسطة ، التي كان متواجدا بها قبل عدة أشهر من رحيله كما ذكرنا آنفا . وليس فيما لدينا من مصادر

ما يشير إلى السبب في اختياره لهذه الوجهة . لعل لصلة قرابة كانت تربطه بعائلات من الثغر ، أو ربما لوجود معارف له هنالك . وبهذا الخصوص نشير إلى أن عددا من شيوخه كانوا من أهل الثغر ، ونخص منهم بالذكر قاضي سرقسطة أبا الحزم خلف بن أحمد بن هشام العبدري (ت. بعد سنة ٤٠٣) ، الذي ربما ساعده على الاستقرار بسرقسطة . فضلا عن ذلك فقد كان الثغر الأعلى من الجهات التي فر إليها عدد من علماء قرطبة إبان الفتنة ، ونتيجة لها ، ومنهم نفر من شيوخه مثل خاله محمد بن يوسف النجاد الأموي وعبيد الله بن مسلم اليحصبي ، ولعله صاحبها أو أحدهما ، أو لحق بأيهما .

وخلال مدة تواجده بسرقسطة التي دامت نحو سبع سنوات لا تذكر المصادر شيئا عن حياته ونشاطه . ومع ذلك ، يمكننا القول أنه اشتغل بالإقراء ولقاء الشيوخ ، فضلا عن تصنيف الكتب . وفيما يتصل بذلك ، فالغالب أنه أنجز في تلك الفترة أول مؤلف له وهو "تفكر الحافظ" ، فحسب ابن الأبار أنه وقف على نسخة عتيقة منه مكتوبة في انسلاخ شوال سنة ٤٠٨ (= ٢٠ مارس / آذار ١٠١٨) . وكذلك من المرجح أنه كان بصدد إعداد كتابه الشهير "طبقات القراء" الذي ظل يعمل فيه حتى قبل نحو تسع سنوات من وفاته .

وفي عام ٤٠٩ (= ٢٠ مايو / أيار ١٠١٨ - ٨ مايو / أيار ١٠١٩) خرج أبو عمرو الداني من سرقسطة ، ولا تحبرنا المصادر ، كعادتها من الضنانة ، عن سبب خروجه ، إن كان ذلك بدافع خاص يتصل بأسرته وعلاقاته ونشاطه العلمي بسرقسطة أو بدافع عام شبيه بما أخرجه من قرطبة . وبهذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن قبيل حلول العام المشار إليه أو في أوائله تشكل تحالف أندلسي مناوئ لخلافة بني حمود البربر في قرطبة ، مكونا من زعماء الفتيان العامرين بالمرية وشرق الأندلس وأمير سرقسطة المنذر بن يحيى التجيبي وحليفه النصراني الكونت رامون صاحب برشلونة ، ولكن مُني التحالف بهزيمة نكراء قرب غرناطة من جيش بربري سنة ٤٠٩ أعقبها مقتل عبد الرحمن المرتضى ، الأموي الذي كانوا قد بايعوه بالخلافة . فهل كان أبو عمرو يحدوه الأمل أن يعيد التحالف خلافة قرطبة للأموين فاستبق النتيجة وعاد ليستقر في موطنه ، أم أنه رأى "الفتنة" قد طالت سرقسطة بذلك العمل العسكري ، فعجل بالرحيل عنها ؟ ونميل إلى هذا الطرح الأخير لأنه يتوافق مع عقيدة أبي عمرو بوجوب الإمساك عن "الفتنة" .

كما لا نعلم على وجه التحديد الوجهة التي اتخذها أبو عمرو الداني . وبهذا الخصوص لدينا روايتان ، الأولى مختصرة أوردها الذهبي وينقلها ابن الجزري ، وهي تذهب إلى أن الرجل عاد إلى قرطبة ، ثم دخل دانية في عام ٤١٧ (= ١٠٢٦ - ١٠٢٧) . والرواية الثانية ، أكثر تفصيلا ، عن ياقوت الحموي تذكر أن الرجل خرج

من سرقسطة إلى روطه^{١١} ثم دخل دانية في عام ٤٠٩ ، ومنها اتجه إلى ميورقة في نفس العام حيث مكث ثماني سنين ليعود إلى دانية في عام ٤١٧ هـ . وكلتا الروايتين جاءتا على لسان أبي عمرو ، ولهذا فإننا نميل إلى الاعتقاد بأنهما تنحدران من أصل واحد مفقود ، وبالتالي يمكن إعادة بناء ذلك الأصل من مجموع تلك الروايتين . ويمكن أن تكون نقطة الانطلاق هي الخروج من سرقسطة والوصول إلى روطه ، فهذا الموضع يقع على طريق قلعة أيوب التي تصل سرقسطة بالحاضرة الأندلسية ، أي أنه بالفعل كان متوجها إلى قرطبة وليس إلى دانية . ويؤكد هذا أن الرواية لا تذكر أنه خرج من روطه إلى دانية ولكنها تقول أنه دخل دانية ، مما يفهم منه أن ثمة سقطاً في الرواية . إذن فمن المرجح أنه بالفعل عاد إلى قرطبة ، ولكنه لم يكد يمكث بها إلا قليلا حتى غادرها مرة أخرى ، ومع ذلك لم يتوجه مباشرة إلى دانية بل أمضى قبل ذلك عدة أشهر في ألمرية كما قد ظنَّ البعض ، أو في بلنسية على ما نرجح .

حقيقة توجد إشارة معلومة للضبي أن أبا عمرو الداني أمضى مدة في ألمرية قائما على تدريس القراءات حيث درست على يديه امرأة اسمها ريجانة ، ولكنها إشارة مبتورة ، إذ لم يذكر الضبي مقدار تلك المدة ومتى كانت ، بل حتى لا تتوفر على المعلومات الأساسية عن ريجانة المذكورة . ومع ذلك لدينا معلومات أكثر وضوحا عن شخص آخر درس على أبي عمرو الداني في ألمرية ، وهو القرطبي أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن الخزرجي الذي التقى بالشيخ في المدينة المذكورة . وحقا لم يذكر ابن عبد الملك المراكشي^{١٢} ، المصدر الأول عن هذه المعلومة ، تاريخا محددًا لذلك اللقاء ، ولكن ابن الجزري^{١٣} ، وإن لم يذكر أخذ الخزرجي عن الشيخ ، فإنه ينبئنا بأن وفاة المذكور وقعت في عام ٥١١ (= ٥ مايو / أيار ١١١٧ - ٢٣ أبريل / نيسان ١١١٨) . وهذا يجعل من الاستحالة تواجد أبي عمرو الداني بألمرية في عام ٤٠٩ ، العام الذي شهد خروجه من سرقسطة ورحيله إلى قرطبة ، ففي العام المذكور لم يكن الطالب المشار إليه قد ولدَ بعد . واعتمادا على ما يقوله ابن عبد الملك المراكشي ، وأخذا في الاعتبار أن اللقاء كان مصادفة ، وأن الطالب القرطبي كان قد أتم دراسته في قرطبة على يد ابن عمه أبي القاسم عبد الرحمن الخزرجي (ت. ٢٣ أو ٢٤ رمضان من عام ٤٤٦ = ٤ أو ٥ مايو / أيار ١٠٥٤) ، فإنه يمكن أن نخمن بأن اللقاء وقع في أحد أعوام العقد الثالث من القرن الخامس (= الحادي عشر) ، وبالتالي يكون من المرجح أن أبا عمرو الداني كان متواجدا في ألمرية في تاريخ لاحق على استقراره النهائي في دانية ، كما سنشير لاحقا ، وبعبارة أخرى أنه في العام المبين ، ٤٠٩ هـ ، لم يخرج من قرطبة إلى ألمرية .

وبالعكس نميل إلى أنه توجه من الحاضرة الأندلسية إلى بلنسية . إذ يشير ابن الأبار إلى أن المقرئ أبا أحمد جعفر بن سعيد بن محمد بن حلبس (ت. بعد عام ٤٣٨=٨ يوليو/ تموز ١٠٤٦-٢٧ يونيو/ حزيران ١٠٤٧) أخذ عن الشيخ في بلنسية ، ويقول نصا "وأبو عمرو إذ ذاك يرتاد بلدا يستوطنه" ، وبعبارة أخرى أن الشيخ كان حينئذ يبحث عن بلد ليستقر فيه . ونظن أن ذلك كان في العام الذي قضاه أبو عمرو رحالا ، أي عام ٤٠٩ هـ ، الواقع بين فترتي استقرار طويلتين نسبيا ، السابقة في سرقسطة ، واللاحقة في ميورقة . فلم يكن في حياة الداني عام مثل العام المذكور من حيث عدم الاستقرار ، بل نعلم أن ترحال الشيخ لم ينته في بلنسية في ذلك العام ، فقد رحل بعد ذلك إلى دانية ثم خرج منها مرة أخرى إلى ميورقة . أي أنه في خلال العام المذكور انتقل من سرقسطة إلى روطه ، ومنها إلى قرطبة ، ثم بلنسية ، فدانية ، وأخيرا إلى ميورقة . ولم يكن الترحال حالة خاصة بأبي عمرو الداني ، بل كان بمثابة ظاهرة عامة بسبب اندلاع "الفتنة" بقرطبة ، وتمثلت في ظهور عدد من علماء قرطبة "الجوايين" مثل ابن عبد البر (ت. ٤٦٣=١٠٧٠-١٠٧١) وابن حزم (ت. ٤٥٦=١٠٦٣) .

وبداية من ذلك العام وابتقاله إلى ميورقة بدأت صلة أبي عمرو الداني بـ "طائفة دانية" ، وهي الصلة التي لم تنقطع إلا بوفاته . فقد كانت ميورقة ، مع بقية جزر البليار ، تشكل جزءا من مملكة دانية . ولكن علاقته المباشرة مع رأس تلك الطائفة أبي الجيش مجاهد العامري الصقلي (ت. ٤٣٦=١٠٤٥) تأخرت ثمانية أعوام حتى انتقاله إلى دانية واستقراره النهائي بها في ٤١٧ (=١٠٢٦-١٠٢٧) . ولم يكن من الغريب حسبا يذكر ياقوت الحموي وابن خلدون أن يعقد أبو عمرو الداني أواصر الصداقة مع مجاهد العامري ، فقد كان هذا الأمير محبا للدراسات اللغوية وعلوم القرآن ، وراعيا كبيرا للعلماء في بلاطه الثقافي المزدهر بدانية . ويصفه ابن حيان بقوله "كان مجاهد فتى أمراء دهره ، وأديب ملوك عصره ، لمشاركته في علم اللسان ، ونفوذ في علم القرآن ، عني بذلك من صباه وابتداء حاله إلى حين اكنهاله ، ولم يشغله عن التزيد عظيم ما مارسه من الحروب برا وبحرا ، حتى صار في المعرفة نسيج وحده ، وجمع من دفاتر العلوم خزائن جمّة ، وكانت دولته أكثر الدول خاصة ، وأسراها صحابة ، لانتقاله العلم والفهم ، فأّمّه جملة العلماء ، وأنسوا بمكانه ، وخيموا في ظل سلطانه ، واجتمع عنده من طبقات علماء قرطبة وغيرها جملة وافرة ، وحلبّة ظاهرة" . ورغم العلاقة الطيبة بين "السلطان" وأبي عمرو ، فلم يتول الشيخ أي منصب عمومي كالصلاة أو الخطبة أو القضاء ، ويبدو أنه اكتفى برعاية وكرم الأمير مجاهد . وفي مثل هذا المناخ المواتي حيث تمتع بالهدوء والاستقرار كرس الداني حياته للتدريس والتصنيف .

بيد أنه من المرجح أن توترا قد شاب حياة أبي عمرو الداني الهادئة في دانية ، وذلك على إثر وفاة الأمير مجاهد وتولي ابنه على إقبال الدولة الحكم في سنة ٤٣٦ . فيذكر أن مؤامرة حيكت ضد الحاكم الجديد وتعرض للاغتيال على يد أخيه حسن بالتعاون مع أحد أتباع المعتضد ابن عباد صاحب إشبيلية ، ولكن المؤامرة فشلت ونجا علي إقبال الدولة (استمر في الحكم إلى ٤٦٨=١٠٤٥-١٠٧٦) . ويبدو أن ذلك دفع بعضا من العلماء والأدباء إلى مغادرة دانية خوفا من حاكمها الجديد ، مثل العالم اللغوي ابن سيده (ت. ٤٥٨=١٠٦٥-١٠٦٦) . ونعتقد أن أبا عمرو الداني كذلك غادر دانية ليس توجسا من الحاكم الجديد فحسب ، بل أيضا كديده في الفرار من "الفتنة" ، فذهب إلى ألمرية حيث قعد للتدريس ، وهناك درس على يديه أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن الخزرجي المشار إليه من قبل ، وربما أيضا ريجانة المذكورة . ولكن لم يمض أبو عمرو الداني وقتا طويلا في ألمرية ، فما أن داخله الاطمئنان من جهة الحكم الجديد وتيقن من خمود "الفتنة" حتى رجع إلى دانية لينعم فيها بالهدوء من جديد ويعود إلى نشاطه العلمي المعهود .

عن جهوده العلمية والثقافية

قضى أبو عمرو الداني حياته دارسا ومعلما ومصنفا ، وقد قيل إن عدد مصنفاة يصل إلى مائة وعشرين مصنفا ، أكثرها في العلوم القرآنية : القراءات السبع والعشر والشاذة ورواياتها وطرق نقلها والتجويد ، التفسير والمعاني والإعراب ، ضبط ورسم المصاحف . وفي هذا كله برع وذاع صيته وعدت مصنفاة من مرجعيات العلوم القرآنية ، ولهذا قيل إن القراء كانوا عالة على مؤلفاته . ومن أشهر مؤلفاته في القراءات "جامع البيان في القراءات السبع" ^{١٨} والتيسير في القراءات السبع" ^{١٩} . ورغم أن الكتابين في القراءات السبع ، فإن الأول مسهب شامل وضعه كمرجع للمتخصصين في علم القراءات ؛ وأما الثاني فهو موجز ميسر صنفه للطلاب والمبتدئين ، ولعله لذلك اكتسب مكانة وشهرة في الأندلس وخارجها . ويدل على ذلك ما يذكره ابن الأبار أن المقرئ أبا جعفر الحسن بن محمد الأنصاري ، المعروف بابن الرهيب ، عندما كان بالإسكندرية عام ٥٧٢ (=١١٧٦-١١٧٧) تزاحم عليه طلبة الإسكندرية ليسمعوا منه التيسير لأبي عمرو ، الذي كان قد أخذه سنة ٥٥٣ (=١١٥٨-١١٥٩) عن ابن هذيل ، تلميذ تلميذ أبي عمرو ، ولهذا صارت للمقرئ الأندلسي المذكور "عندهم بذلك وجاهة" ^{٢٠} . ولقد ذاع الكتاب في سائر أصقاع الإسلام بفضل إعادته نظما على يد المقرئ الشهير الشاطبي (ت. ٥٩٠=١١٩٤) في قصيدته "حز الأمانى ووجه التهاني" المعروفة بـ "الشاطبية" . ولهذا عدّه ابن خلدون من أكثر المؤلفات المعتمدة في تدريس القراءات .

ويتصل بذلك مصنفاًته في رسم ونقط المصاحف ، وأكثرها شهرة "المقنع في رسم مصاحف الأماصار"^{٢٠} الذي غدا عمدة كتب الرسم القرآني خاصة بعد أن نظم شعرا وشرح من قبل عدد من العلماء مثل الشاطبي الذي نظمه في قصيدته الرائية المعروفة بـ "عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد" . وكذلك كتابه "المحكم في نقط المصاحف"^{٢١} الذي موضوعه تشكيل القرآن .

وبطبيعة الحال يعد مصنفه "طبقات القراء" تأريخا عاما وجامعا للعلوم القرآنية من خلال الترجمة للقراء في عالم الإسلام مشرقه ومغربيه حتى أوائل الثلث الثاني من القرن الخامس الهجري (= الحادي عشر الميلادي) . وقد ساهم ذلك الكتاب بقدر كبير في شهرة أبي عمرو الداني ويتبين ذلك في اعتماد كثير من مؤرخي الطبقات والتراجم عليه سواء من المغاربة أو المشارقة .

إلى جانب القراءات كان أبو عمرو الداني متبحرا في الحديث النبوي وعلومه ، وله في ذلك تصانيف مثل "جزء في علوم الحديث ، في بيان المتصل والمرسل والموقوف والمنقطع"^{٢٢} ، و"جزء فيه الأربعة أحاديث التي تتفرع منها السنة" ، وكذلك "السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها"^{٢٣} . ولهذا عده البعض من المحدثين ، فترجم له شمس الدين الذهبي في كتابيه "تذكرة الحفاظ" و"المعين في طبقات المحدثين" . وكان أبو عمرو الداني واقفا على أسرار العربية ، لذا نعتته البعض باللغوي ، وتمكننا من علم النحو ، مطالعا على دقائقه ، لذلك عده البعض من النحويين فضمه القفطي إلى معجمه عن النحويين "إنباه الرواة" ، وليس ذلك بمستغرب ، إذ أن العلاقة وثيقة بين النحو والصرف من جهة والقراءات ونقط وشكل المصاحف من جهة أخرى ، وفي ذلك وضع أيضا أبو عمرو الداني مصنفاًت أشرنا إلى أشهرها أنفا . كما عرف عن الداني سعة علمه بالفقه خاصة الفقه المالكي الذي كان يتبعه ، مما جعله أهلا بالإفتاء في بعض المسائل الفقهية . وأيضا كان للداني باع كبير في علم الكلام وعلى وجه الخصوص في مذاهب أهل السنة ، وصنف في ذلك "الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة"^{٢٤} ، كما ضمّن "أرجوزته" قدرا معتبرا عن اعتقادات أهل السنة . وبوجه عام كان الرجل متضلعا في غالبية علوم عصره ، العلوم العربية الإسلامية ، مع شغوف جلي في العلوم القرآنية ، ففيها كان إبداعه وإضافته ، ومن ثم إمامته .

كما كان ينظم الشعر ، ولكنه كان نظما أداتيا يستخدمه لنشر علمه كما يتبين من أرجوزته المذكورة . ولكن يبدو أيضا أن النظم التقريري والتعبير المباشر والافتقار إلى الخيال الشعري كان السمة الغالبة على شعره

في الأغراض غير التعليمية كما تدل على ذلك القطع الشعرية الثلاث التي حفظتها لنا المصادر^{٣٠}. القطعة الأولى من ثلاثة أبيات وتتناول المعاملة غير اللائقة التي يتعرض لها علماء الدين وأهل الأدب ، وهي :

قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما

يجري على كل من يعزى إلى الأدب

لا شيء أبلغ من ذل يجرحه

أهل الخساسة أهل الدين والحسب

القائمين بما جاء الرسول به

والمبغضين الزيف والرَّيبِ

والثانية من خمسة أبيات في مدح أهل الحديث :

نور البلاد وزَيْن الأنام صَحْبُ الْحَدِيثِ

لَوْلَاهُمْ مَا عَلِمْنَا ضَلالَ كُلِّ خَبِيثِ

وَلَا عَرَفْنَا صَاحِبًا مِنَ السَّقِيمِ الرَّثِيثِ

فَنَحْنُ فِيمَا لَدَيْهِمْ نَسْعَى بِكَدِّ حَثِيثِ

لِكَيْ نَفُوزَ بِذُخْرِ مِنْ رَبَّنَا مَبْثُوثِ

والثالثة من أربعة أبيات في مدح المؤرخ والمفسر أبي جرير الطبري (ت. ٣١٠=٩٢٢) :

محمد بن جَرِيرِ إِمَامِ أَهْلِ زَمَانِهِ

وَكُلِّ جَاهِلِ عِلْمِ فَعَارِفِ بِمَكَانِهِ

وَكُتِبَ قَدْ أَبَانَ عَنِ عِلْمِهِ وَبَيَانِهِ

عَفَا الْمُهَيْمِنُ عَنْهُ وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ

ولقد حباه الله بصفاء القرية وقوة الحافظة ، فتشير المصادر إلى أنه لم يكن في عصره وفيما تلا ذلك من يشبهه في قوة الحافظة ، وهو نفسه يقول بهذا الشأن : " ما رأيت شيئاً قط إلا كتبتة ، ولا كتبتة إلا وحفظته ، ولا حفظته فنسيتة " . ولا شك أن قوة الحافظة كانت من أدوات الرجل في بلوغ ما بلغ من شأو في العلم ، ولكن دون إصرار الرجل ودأبه وحرصه على الدرس والتأليف فضلا عن دقته البالغة وقدرته الفائقة على النقد

والاستيعاب ثم على التصنيف المحكم والمبسط ما نال تلك المكانة السامية . فضلا عن ذلك تميز بالضبط والخط الجميل ، وهما مزيتان كانتا ترفع كثيرا من شأن حائزهما في ذلك العصر .

ولكل هذا كثر طلابه والآخذون عنه ، ونذكر فيما يلي عددا منهم ، خاصة أولئك الذين تابعوه وساروا على دربه مشكلين ما يمكن أن نطلق عليه مدرسة أبي عمرو الداني في القراءات ، هم : أبو إسحاق إبراهيم بن خلف العبدري الشَّلوني (ت. ٤٦٣ = ١٠٧٠-١٠٧١) ؛ وأبو تمام غالب بن عبد الله القيسي القطيني (ت. ١٢ من رمضان ٤٦٥=٢٢ مايو/ أيار ١٠٧٣) ؛ وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن سعود الأنصاري (ت. في حدود عام ٤٧٠=١٠٧٧-١٠٧٨) ؛ وأبو محمد عبد الله بن سهل الأنصاري (ت. ٤٨٠=١٠٨٧-١٠٨٨) ؛ وأبو مروان عبد الملك بن موسى ابن أبي جمرة (ت. ٧ من جمادى الآخرة من ٤٨٥=١٥ يوليو/ تموز ١٠٩٢) ، وقد طلب إجازة لابنه أبي العباس أحمد ابن أبي جمرة (ت. ٤ من رمضان من ٥٣٣=٥ مايو/ أيار ١١٣٩) ، الذي يعدّ آخر من نقل عن أبي عمرو الداني ؛ وأبو عبد الله محمد بن عيسى المغامي (ت. ١٥ من ذي القعدة ٤٨٥=١٧ ديسمبر/ كانون الأول ١٠٩٢) ؛ وأبو الحسن علي بن عبد الرحمن الأنصاري ، ابن الدوش (ت. ٣ من شعبان ٤٩٦=٢ مايو/ أيار ١١٠٣) ؛ وأبو الحسن يحيى بن إبراهيم اللواتي ، ابن البياز (ت. ٣ من رمضان ٤٩٦=١٧ أكتوبر/ تشرين الأول ١١٠٢) ، وتلميذه الأشهر أبو داود سليمان بن نجاح المؤيدي (ت. ١٥ رمضان ٤٩٦=٢٢ يونيو/ حزيران ١١٠٣) ؛ أبو العباس أحمد بن حامد (ت. بعد عام ٥٣٧=١١٤٢-١١٤٣) ؛ وأبو الحسن علي بن أحمد الأموي ؛ وأبو علي الحسن بن محمد بن هاليس الأزدي ؛ وأبو الدَّوِّاد مفرج ، مولى علي إقبال الدولة ؛ وأبو عبد الله محمد بن يحيى العبدري (والأخرون غير معلوم سني وفاتهم) .

وكذلك درس على يديه بعض النساء وإن لم يتوفر لنا معلومات بهذا الشأن سوى ريحانة المذكورة آنفا والتي بحسب الضبي درست عليه بالمرية . كما يُذكر أن ابنة فايز القرطبي وزوج الفقيه القرطبي أبي عبد الله محمد بن عتاب (توفيت ٤٤٦=١٠٥٤-١٠٥٥) عقدت العزم على أن تدرس على أبي عمرو الداني ، فخرجت من قرطبة متوجهة إلى دانية ، فألفته مريضا مرض الموت ولم يلبث أن توفي ، فحضرت جنازته ثم سألت عن تلامذته فذكر لها أبو داود سليمان بن نجاح ، فتوجهت إليه في موضعه ببلنسية ، فدرست عليه القراءات السبع .

عن سماته الشخصية وحياته الخاصة

كان أبو عمرو الداني شخصية ودیعة ورعة تميل إلى الهدوء والمسالمة وتفر من الاضطرابات والفتن ، ومع وداعته تلك كان قاطعا حادًا في عرض عقيدته السننية الراسخة ، وإذا ما مسه أمر يتصل بذلك أو بتخصصه

، فإنه يصبح مجادلا خصيما . وجاء في بعض المصادر المشرقية أن أبا عمرو الداني وابن حزم تجادلا جدالا شديدا ، وصل إلى حد الهجاء ، وهو ما استحق نقد الذهبي وابن الجزري . والحقيقة أن ذلك الخبر جاء مبتورا في مصادره ، فلا ذكر لتاريخ وقوعه ولا لمكانه ، بل لا ذكر للخبر على الإطلاق في أي مصدر من المصادر الأندلسية المعروفة . ومع ذلك ، فليس من المستبعد حدوث تلك المناظرة ، فمعلوم طبيعة شخصية ابن حزم الحجاجية ، كما أنه دخل في مناظرات مع فقهاء مالكيين أندلسيين مثل مناظرته المشهورة في ميورقة مع أبي الوليد سليمان الباجي (ت. ٤٧٤=١٠٨٢) ، حامل لواء الأشعرية في الأندلس ، وكان قد أخذها عن أبي ذر عبد الهروي الذي صاحبه ثلاثة أعوام . ومن جهة أبي عمرو الداني فقد كان أيضا يميل إلى الأشعرية التي تعرف عليها كذلك من خلال أبي ذر عبد الهروي ، كما كان مالكيًا ومتشددا في سنيته ، وحمل بعنف على غير أهل السنة في كتابيه "الأرجوزة" و"الرسالة الوافية" ، بل صرح بانتقاد ورفض المذهب الظاهري الذي كان يتبعه ابن حزم^{٢٦} ، ولعل في ذلك ما يكفي لحدوث تلك المناظرة .

كما وقع جدال في علم القراءة بدانية بين أبي عمرو الداني والمقرئ المعروف أبي العباس أحمد المهدي حينما وردها في حدود سنة ٤٣٠ (=١٠٣٨-١٠٣٩) ، فقد رغب الوافد التونسي في أن يدل على علمه في القراءات أمام الأمير مجاهد العامري . فبعث إلى الداني بأسئلة ، فأجابه عنها بجزء سماه "الأجوبة المحققة عن الأسئلة المحرفة" ، وأعقب ذلك بأن طرح على المهدي مسألة واحدة من ستين سؤالًا عن الهمزة برسالة سماها "الستينية" . ولم ينته الأمر عند هذا الحد ، إذ أراد الداني تدعيم حججه وتأكيد مكانته العلمية ، فكتب رسالة "التنبيه على الخطأ والجهل والتمويه" بشأن المهدي وأرسلها إلى الأمير مجاهد^{٢٧} .

ويجمل الإشارة إلى أن جفوة وقعت بين الداني وتلميذه أبي محمد عبد الله بن سهل الأنصاري ، الذي كان قد لازمه نحو ثمانية عشر عاما . ولا ذكر في المصادر لتفاصيل أسباب تلك الجفوة ومن منها الذي أثارها ، ويكتفي ابن الجزري بالتصريح إلى حدوث "منافسة ومقاطعة" بينهما بعد عودة ابن سهل من رحلته إلى المشرق ، ويبدو أن حدة المنافسة أوجبتها طبيعة شخصية التلميذ العنيفة ، إذ كان "شديدا على أهل البدع ، قوالا بالحق ، مهيبا" ، وبسبب ذلك "امتحن ولفظته البلاد وغرب"^{٢٨} .

ونكاد لا نعلم شيئا عن حياة الرجل الخاصة والعائلية سوى أنه كان لديه ولد هو أبو العباس أحمد بن عثمان الأموي (ت. ٨ من رجب من عام ٤٧١=١٤ يناير/ كانون الثاني ١٠٧٩) . وهو قد ولد على الأغلب في

قرطبة ، ولكن غير معلوم إن كان مولده وقع قبل رحلة الأب إلى المشرق أو بعد عودته . وكان كأبيه مقرئاً وعلمّ القراءات وإن لم يبلغ شأوه .

الرحيل

فيما يبدو أن أبا عمرو الداني عجز عن الحركة في أواخر أيامه من جراء إصابته بقرحة في صلبه أثرت على عموده الفقري ، وكانت منيته يوم الاثنين ١٥ من شوال ٤٤٤ (= ٧ فبراير ١٠٥٣) عن عمر يناهز ٧٢ عاماً قمرياً . وبعد صلاة العصر في نفس يوم وفاته صلى عليه قاضي بلنسية أبو محمد عبد الله بن خميس الأنصاري (ت. بعد سنة ٤٧٦=١٠٨٣-١٠٨٤) ، وذلك بحسب وصية الداني لابنه أبي العباس أحمد ، ودفن في بقية دانية بباب أندارة ، ولقد شهد جنازته جمهور غفير يتقدمه أمير دانية على إقبال الدولة .

الموارد والهوامش

١ ينظر في ترجمته ومصنفاته المصادر الآتية : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ط. القاهرة ١٩٦٦ ، ٣٠٥ (ترجمة ٧٠٢) ؛ القاضي عياض ، الغنية فهرست شيوخ القاضي عياض ، تح. ماهر زهير جرّار ، بيروت ١٩٨٢ ، ١٤٣-١٤٤ ، ١٤٨ ؛ ابن خير ، فهرسة ، ط. ١٩٦٣ ، ٢٨-٢٩ ، ٤٠-٤١ ، ٧٢-٧٤ ، ٤٢٨ ، ٤٤٦ ؛ ابن بشكوال ، الصلة ، ط. القاهرة ١٩٦٦ ، ٤٠٥-٤٠٧ (ترجمة ٨٧٦) ؛ الضبي ، بغية الملتبس ، ط. القاهرة ١٩٦٦ ، ٤١١-٤١٢ (ترجمة ١١٨٦) ؛ ياقوت ، معجم البلدان ، ط. صادر ، بيروت ، دون تاريخ طبع ، ٤٣٤/٢ (مادة دانية) ؛ ياقوت ، معجم الأديب ط. الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٩٣ ، ١٦٠٣-١٦٠٥ (ترجمة ٦٩٤) ؛ القفطي ، إنباه الرواة على أبناء النحاة ، تح. أبي الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٠-١٩٥٥ ، ٣٤١-٣٤٢ (ترجمة ٥١١) ؛ التجيبي ، برنامج التجيبي ، تح. عبد الحفيظ منصور ، ليبيا- تونس ١٩٨١ ، ٣٦ ، ٣٧ ؛ الذهبي ، الإعلام بوفيات الأعلام ، ط. بيروت ١٩٩١ ، ١٩١٨٤ ؛ ن.م. تاريخ الإسلام ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ١٩٩٤ ، ٩٧/٣٠-١٠١ (ترجمة ١١٥) ؛ ن.م. تذكرة الحفاظ ، ط. حيدر آباد الدكن ، الرابعة ١٩٧٠ ، ٣/١١٢٠-١١٢١ (ترجمة ١٠٠٦) ؛ ن.م. دول الإسلام ، ط. القاهرة ١٩٧٤ ، ١/٢٦٢ ؛ ن.م. سير أعلام النبلاء ، ط. بيروت ١٩٨٤ ، ١٨/٧٧-٨٣ (ترجمة ٣٦) ؛ ن.م. طبقات القراء ، تح. الدكتور أحمد خان ، الرياض ١٩٩٧ ، ٢/٦١٧-٦٢٣ (ترجمة ٦٣) ؛ ن.م. العبر في خبر من غبر ، تح. محمد السعيد بسونوف زغلول ، بيروت ١٩٨٥ ، ٢/٢٨٦ ؛ ن.م. معرفة القراء الكبار تح. محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، الأولى ، دون تاريخ طبع ، ١/٣٢٨-٣٢٥ (ترجمة ٣٦) ؛ الصفدي ، الوافي بالوفيات ، بيروت ٢٠٠٧ ، ٢٠/٦٢-٦٣ (ترجمة ٥٨) ؛ اليافعي ، مرآة الجنان ، ط. حيدر آباد الدكن ١٣٣٨هـ ، ٣/٦٢ ؛ ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ٤/١٠٩-١١٠ ؛ ابن فرحون ، الديباج المذهب ، تح. الدكتور الأحمدي أبو النور ، ٢/٨٤-٨٥ (ترجمة ٤) ؛ ابن

خلدون ، المقدمة ، ط. الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ١٩٦٠ ، ٣/ ٩٩٤-٩٩٦ ؛ ابن الجزري ، غاية النهاية ، ط. ج. برجستراسر ، القاهرة ١٩٣٣ ، ١/ ٥٠٣-٥٠٥ (ترجمة ٢٠٩١) ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ط. دار الكتب المصرية ١٩٣٥ ، ٥/ ٥٤ ؛ الداوودي ، طبقات المفسرين ، تح. على محمد عمر ، الثانية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ١/ ٣٧٣-٣٧٦ (ترجمة ٣٢٦) ؛ المقرئ ، نفع الطيب ، ط. إحسان عباس ، بيروت ١٩٨٨ ، ٢/ ١٣٥-١٣٦ (ترجمة ٧٦) ؛ ابن العماد ، شذرات الذهب ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، دون تاريخ طبع ، ٣/ ٢٧٢ .

^٢ طويلة هي قائمة الباحثين والدارسين المحدثين الذين تناولوا بالعرض والدرس سيرة ومؤلفات أبي عمرو الداني نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر الأساتذة والشيوخ والدكاترة (بحسب الترتيب الأبجدي) : أوتو برترل ، والتهامي الهاشمي ، وحاتم الضامن ، ورضاء الله المباركفوري ، وزهير غازي زاهد ، وعبد المهيمن الطحان ، وعبد الهادي حميتو ، وغانم قدوري الحمد ، ويوسف المرعشلي .

^٣ التكملة ، ط. قُدارة زبيدين ، مجريط ١٨٨٧-١٨٨٨ ، ٢/ ٧١٠ (ترجمة ١٩٩٧) ، وط. ألكون وبالنتيا ، مدريد ١٩١٥ ، ص ٥٤٥ .

^٤ تاريخ الأدب العربي ، الطبعة الألمانية ، ليدن ١٩٤٣ ، ١/ ٥١٦ ، والطبعة العربية ، القاهرة ١٩٩٣ ، ٤/ ١٦٩ .
^٥ ابن بشكوال ، الصلة ، ١/ ٣٠١-٣٠٢ (ترجمة ٦٧٠) .

^٦ وهي المنشورة بعنوان : "الأرجوزة المنبهاة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات وعقد الديانات بالتجويد والدلالات" بتحقيق محمد بن مجقان الجزائري (الرياض ١٩٩٩) . وجدير بالذكر أن المصادر تذكر عناوين أخرى لأبي عمرو الداني تتقاسم لفظة "الأرجوزة" ، وما هي إلا تنويعات على عنوان نفس الكتاب حسبما يفهم من مناقشة محقق هذه الطبعة لموضوع الأرجوزة وعنوانها (انظر مقدمة التحقيق ، ص ٥٧-٦٠) .

^٧ المصدر نفسه ، ص ٧٨-٨٢ ، وهي الأبيات من ٢٢ إلى ٤١ .

^٨ اسان منهم فحسب فيها اختلاف في انتسابها إلى شيوخ الرحلة . الأول : أبو القاسم عبد العزيز بن جعفر الفارسي البغدادي (بيت رقم ٢٤) ، وهو وإن كان مشرقيا ، فقد أخذ عنه الداني بالأندلس حيث دخلها تاجرا عام ٣٥٠ ، فيذكر أنه سمع عليه في في أْبْدَة (أُنْدَة على الأرجح) ، بينما يشير المقرئ إلى أن ذلك كان في قرطبة ، ولكن ابن الجزري يصرح في كتابه النشر في القراءات العشر ، نقلا عن الدكتور عبد الهادي حميتو ، أن سماع الداني عليه كان في مصر . وأما الاسم الثاني ، فقد جاء مجردا من نسب أو نسبة أو كنية هكذا "الثبت إبراهيم وهو القاري" (بيت رقم ٣٢) ، وقد حُقق على أنه إبراهيم بن خطاب اللهائي ممن روى عنهم الداني في بعض كتبه مثل "المحكم" و"البيان في عدد آي القرآن" وغيرهما ، وهذا ما حدا بالبعض إلى الجزم بأنه المترجم له في الصلة لابن بشكوال (١/ ٨٩ ، ترجمة ١٩٦) باسم أبي إسحاق إبراهيم بن شاكر بن خطاب بن شاكر بن خطاب اللهائي اللجام . ولكن يلاحظ في ترجمة المذكور أن لا صلة له بالقراءات ، كما لا يذكر أخذ الداني عنه (راجع الدكتور حميتو ، معجم شيوخ الحفاظ أبي عمرو الداني ، آسفي - المغرب ١٠١٢/ ٢٠٠٠ ، ٤٦-٤٨ ، رقم ١ ، و٨٨-٩٢ ، رقم ٤٠) .

^٩ الأرجوزة ، ص ٧٨ ، وهما البيتان ٢٢ و ٢٣ .

- ^{١٠} ابن بشكوال ، الصلة ، ٢١٣/١ (ترجمة ٤٧٦) .
- ^{١١} ابن الأبار ، التكملة ، ط. كوديرة ، ٥٣٩/٢ (ترجمة ١٥٥٠) . ولعل في عنوان الكتاب المشار إليه تصحيف للمذكور في فهرسة ابن خير (ص ٢٩) بعنوان "تذكر الحافظ لتراجم القراء والنظائر منها" ، فظاهر تقارب الرسم بين "تفكر" و"تذكر" .
- ^{١٢} وردت "الوطة" في نص ياقوت ، وهو تصحيف ظاهر لـ "رُوطَة" . وعلى هذا الرسم والضبط يأتي ذكر ذلك الموضوع في معجم البلدان لياقوت أيضا (٣/٩٦-٩٧) ، ويقول إنه حصن حصين جدا من أعمال سَرَ قُسْطَة بالأندلس يقع على نهر شلون ، وهو أحد روافد نهر الإبرو . وهو الموضوع المعروف حاليا في إقليم أراغون الإسباني بـ RUEDA DE JALÓN شمال مدينة قلعة أبواب .
- ^{١٣} الذيل والتكملة ، الجزء الأول بتحقيق الدكتور محمد بن شريفة ، بيروت ، دون تاريخ طبع ، ص ٢٣٢-٢٣٣ (ترجمة ٢٩٣) .
- ^{١٤} غاية النهاية ، ١/٦٦ (ترجمة ٢٨٧) .
- ^{١٥} ابن الأبار ، التكملة ، ط. ألفريد بل ومحمد بن شنب ، الجزائر ١٩٢٠ ، ص ٢٨٠ (ترجمة ٦٣٠) .
- ^{١٦} ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ط. إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٩ ، القسم الثالث ١/٢٣ .
- ^{١٧} نشر الدكتور عبد المهيمن الطحان طبعة مجتزة للكتاب المذكور بعنوان "الحروف السبع للقرآن" (مكة المكرمة ١٩٨٨) ، ثم نشره تحت عنوانه الأصلي بالاشتراك مع ثلاثة باحثين : طلحة محمد توفيق ، وسامي عمر إبراهيم ، وخالد علي الغامدي في أربعة أجزاء (جامعة الشارقة ٢٠٠٧) . وتوجد طبعة أخرى للكتاب بتحقيق محمد صدوق الجزائري (بيروت ٢٠٠٥) .
- ^{١٨} قام المستشرق أوتو برتزل بعمل أول طبعة محققة للكتاب (استامبول ١٩٣٠) ، وأعيد طبعها ببيروت ، ١٩٩٦ . وتوجد طبعة أخرى حديثة بعناية الدكتور حاتم صالح الضامن (الشارقة- القاهرة) .
- ^{١٩} التكملة ، ط. قُدارة ، ١/١٨-١٩ (ترجمة ٤١) .
- ^{٢٠} نشره أوتو برتزل مع ذيله المعروف بكتاب "النقط" (استامبول ١٩٣٢) ، ثم صدرت له عدة طبعات ، لمحمد أحمد دهمان (دمشق ١٩٤٠) ، وأعيد طبعها (ليبيا ، ودمشق ١٩٨٣) ، ولمحمد الصادق قمحاوي (القاهرة ١٩٧٨) ، ولحسن سري (الإسكندرية ٢٠٠٥) .
- ^{٢١} نشر بتحقيق الدكتور عزة حسن (دمشق ١٩٦٠) ، وأعاد طبعه (دمشق ١٩٨٧ ، ودمشق - بيروت ١٩٩٧) .
- ^{٢٢} حققه ونشره الأستاذ مشهور بن حسن آل سلمان (عمّان ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦) .
- ^{٢٣} حققه ونشره الدكتور رضاء الله المباركفوري (٦ أجزاء في ثلاثة مجلدات ، الرياض ١٩٩٥) .
- ^{٢٤} توجد له أكثر من طبعة . إحداها برعاية محمد بن سعد القحطاني (الدمام ، ١٩٩٨) ؛ وتانيها قام بها دغش بن شبيب العجمي (الكويت ، ٢٠٠٠) ؛ وأخرى لمحمد بن سليمان الجزائري .
- ^{٢٥} وردت القطعة الأولى في ترجمته ، والثانية في الصلة لابن بشكوال ، ١/١٧٢-١٧٣ (ترجمة ٣٩٢) ، أما الثالثة فأوردها ابن الجزري في غاية النهاية ، ٢/١٠٨ (ترجمة ٢٨٨٦) .
- ^{٢٦} راجع على وجه الخصوص الأبيات من ٥١٢ إلى ٥١٥ (الأرجوزة ، ص ١٧٤) .

^{٢٧} تنظر وقائع السجل المذكور عند الدكتور عبد الهادي حميتو ، معجلم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني ، آسفي - المغرب ٢٠٠٠ ،

ص ١٠ ، ٤١ ، ٦٠-٦١ .

^{٢٨} غاية النهاية ، ١/٤٢١-٤٢٢ (ترجمة ١٧٨٣) .